بسم الله الرَّحْمَن الرَّحِيم

[مُقَدِّمَةٌ]

[الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ، وَالصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ][1].

قَالَ الْفَقِيهُ الأَجَلُّ الأَوْحَدُ[2] ، الْعَلاَّمَةُ الصَّدْرُ الْكَبِيرُ ، الْقَاضِي الأَعْدَلُ ، أَبُو الْوَلِيدِ مُحَمَّدُ بْنُ أَحْمَدَ [بْنُ مُحَمَّدِ بْنُ أَحْمَدَ بْنُ أَحْمَدَ][3] ابْنُ رُشْدٍ ، رَضِيَ اللهُ [تَعَالَى][4] عَنْهُ وَرَحِمَهُ[5] :

أَمَّا بَعْدَ حَمْدِ اللهِ بِجَمِيعِ مَحَامِدِهِ ، وَالصَّلاَةِ عَلَى مُحَمَّدٍ ، عَبْدِهِ الْمُطَهَّرِ[6] الْمُصْطَفَى ، وَرَسُولِهِ .

---

(١) سقطت من م ، ص . وعبارة ب :

«بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَحِيمِ ، وَصَلَّى اللهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آله وَسَلَّمَ» .

(٢) لابن رشد الفيلسوف كتاب واحد فى الفقه هو (بداية المجتهد ونهاية المقتصد) ، أما الذى اشتهر من أسرته بالبراعة فى الفقه فهو جده ، ولقد خلط البعض بينهما ، حتى لقد نسبت طبعة (فصل المقال) التى أخرجتها المطبعة الحميدية المصرية سنة ١٣١٩ هـ سنة ١٩٠١ م على نفقة صاحبها «محمود البيطار الحلبى الكتبى» ، نسبت هذا الكتاب إلى «القاضى أحمد بن أحمد بن رشد الأندلسى المتوفى سنة ٥٩٥هـ» .. فالكتاب وتاريخ الوفاة لصاحبهما أبى الوليد ، أما الاسم فلجده الأعلى ، وهو الذى كان من أعلام الفقه المالكى ببلاد المغرب .

(٣) سقطت من ا ، ب .

(٤) سقطت من ا ، م .

(٥) عبارة ب : «قال الفقيه الإمام القاضى ، العلامة الأوحد ، أبو الوليد محمد بن أحمد ابن رشد» .

(٦) سقطت من ب .

Scanné avec CamScanner

[حُكْمُ دِرَاسَةِ الْفَلْسَفَةِ]

فَإِنَّ الْغَرَضَ مِنْ هَذَا الْقَوْلِ أَنْ نَفْحَصَ ، عَلَى جِهَةِ النَّظَرِ الشَّرْعِيِّ ، هَلْ النَّظَرُ فِي الْفَلْسَفَةِ وَعُلُومِ الْمَنْطِقِ مُبَاحٌ بِالشَّرْعِ ؟ . . أَمْ مَحْظُورٌ ؟؟.. أَمْ مَأْمُورٌ بِهِ ، إِمَّا عَلَى جِهَةِ النَّدْبِ ، وَإِمَّا [١] عَلَى جِهَةِ الْوُجُوبِ ؟ ؟

فَنَقُولُ : إِنْ كَانَ فِعْلُ الْفَلْسَفَةِ لَيْسَ شَيْئاً أَكْثَرَ مِنَ النَّظَرِ فِي الْمَوْجُودَاتِ ، وَاعْتِبَارِهَا ، مِنْ جِهَةِ دِلَالَتِهَا عَلَى الصَّانِعِ ، أَعْنِي مِنْ جِهَةِ مَا هِيَ مَصْنُوعَاتٌ ، فَإِنَّ الْمَوْجُودَاتِ إِنَّمَا تَدُلُّ عَلَى الصَّانِعِ بِمَعْرِفَةِ صَنْعَتِهَا[٢] ، وَأَنَّهُ كُلَّمَا كَانَتْ الْمَعْرِفَةُ [بِصَنْعَتِهَا][٣] أَتَمَّ كَانَتْ الْمَعْرِفَةُ بِالصَّانِعِ أَتَمَّ .

وَكَانَ الشَّرْعُ قَدْ نَدَبَ إِلَى اعْتِبَارِ الْمَوْجُودَاتِ ، وَحَثَّ عَلَى ذَلِكَ ، فَبَيِّنٌ أَنَّ مَا يَدُلُّ ٣/ عَلَيْهِ هَذَا الاسْمُ إِمَّا وَاجِبٌ بِالشَّرْعِ ، وَإِمَّا مَنْدُوبٌ إِلَيْهِ.

فَأَمَّا أَنَّ الشَّرْعَ دَعَا إِلَى اعْتِبَارِ الْمَوْجُودَاتِ بِالْعَقْلِ ، وَتَطَلَّبَ مَعْرِفَتَهَا بِهِ ، فَذَلِكَ بَيِّنٌ فِي غَيْرِ مَا آيَةٍ مِنْ كِتَابِ اللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى ، مِثْلِ قَوْلِهِ [تَعَالَى][٤] (فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِي الأَبْصَارِ) [٥] ، وَهَذَا نَصٌّ عَلَى وُجُوبِ اسْتِعْمَالِ الْقِيَاسِ الْعَقْلِيِّ ، أَوْ الْعَقْلِيِّ وَالشَّرْعِيِّ مَعًا .

وَمِثْلِ قَوْلِهِ تَعَالَى : (أَوَ لَمْ يَنْظُرُوا فِي مَلَكُوتِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا خَلَقَ اللهُ مِنْ شَيْءٍ)[٦] ، وَهَذَا نَصٌّ بِالْحَثِّ عَلَى النَّظَرِ فِي جَمِيعِ الْمَوْجُودَاتِ.

---

(١) فى ب : أو ،
(٢) فى ا : لمعرفة صفتها .
(٣) فى ا : بصفتها .
(٤) سقطت من ا ، م ، س .
(٥) الحشر (٥٩) : ٢ .
(٦) الأعراف (٧) : ١٨٥ .

Scanné avec CamScanner

وَأَعْلَمَ اللهُ تَعَالَى أَنَّ مِمَّنْ خَصَّهُ بِهَذَا الْعِلْمِ وَشَرَّفَهُ بِهِ[١] إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ ، فَقَالَ تَعَالَى : (وَكَذَلِكَ نُرِي إِبْرَهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ)[٢] الْآيَةَ . . . وَقَالَ تَعَالَى : (أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ، وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ)[٣] وَقَالَ : (وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ)[٤] إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الْآيَاتِ الَّتِي لَا تُحْصَى كَثْرَةً .

[ضرورة النظر]

وَإِذَا[٥] تَقَرَّرَ أَنَّ الشَّرْعَ قَدْ أَوْجَبَ النَّظَرَ بِالْعَقْلِ فِي الْمَوْجُودَاتِ ، وَاعْتِبَارِهَا ، وَكَانَ الْاعْتِبَارُ لَيْسَ شَيْئًا أَكْثَرَ مِنْ : اسْتِنْبَاطِ الْمَجْهُولِ مِنَ الْمَعْلُومِ ، وَاسْتِخْرَاجِهِ مِنْهُ ، وَهَذَا هُوَ الْقِيَاسُ ، أَوْ بِالْقِيَاسِ[٦] ، فَوَاجِبٌ أَنْ نَجْعَلَ نَظَرَنَا فِي الْمَوْجُودَاتِ بِالْقِيَاسِ الْعَقْلِيِّ .

وَبَيِّنٌ أَنَّ هَذَا النَّحْوَ مِنَ النَّظَرِ ، الَّذِي دَعَا إِلَيْهِ الشَّرْعُ وَحَثَّ عَلَيْهِ ، هُوَ أَتَمُّ أَنْوَاعِ النَّظَرِ بِأَتَمِّ أَنْوَاعِ الْقِيَاسِ[٧] ، وَهُوَ الْمُسَمَّى بُرْهَانًا .

وَإِذَا كَانَ الشَّرْعُ قَدْ حَثَّ [عَلَى][٨] مَعْرِفَةِ اللهِ تَعَالَى [وَسَائِرِ][٩]

---

(١) عبارة س : « وأعلم أن من خصه بهذا العلم وشرفه إبراهيم ... » . وعبارة ا ، م : « وأعلم تعالى أن من خصه الله تعالى بهذا العلم وشرفه إبراهيم ... » .

(٢) الأنعام (٦) : ٧٥ .

(٣) الغاشية (٨٨) : ١٧ .

(٤) آل عمران (٣) : ١٩١ . والنسخة ا تذكر هذه الآية خطأ هكذا :

(الَّذِينَ يَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ)

وتشاركها م في هذا الخطأ مع زيادة واو العطف قبل (الَّذِينَ) .

(٥) في م ، ص : وإذ .

(٦) أي أن القياس ، وهو أحد أدوات العقل في الاستنباط ، الذي هو الاعتبار ، إن لم يكن مرادفاً ومساوياً للاعتبار ، فإن الاعتبار لا يتم ولا يثمر إلا « بالقياس » ، أي باستخدام الإنسان لهذه الأداة .

(٧) عبارة ا ، م ، ص : بأنواع القياس .

(٨) سقطت من ص .

(٩) سقطت من ا ، م ، ص .

Scanné avec CamScanner

مَوْجُودَاتِهِ بِالْبُرْهَانِ ، [وَكَانَ] (١) مِنَ الْأَفْضَلِ ، أَوْ الْأَمْرِ الضَّرُورِيِّ ، لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يَعْلَمَ اللهَ ، تَبَارَكَ وَتَعَالَى ، وَسَائِرَ الْمَوْجُودَاتِ ٤/ بِالْبُرْهَانِ ، أَنْ يَتَقَدَّمَ أَوَّلاً فَيَعْلَمَ أَنْوَاعَ الْبَرَاهِينِ وَشُرُوطَهَا ، وَبِمَاذَا يُخَالِفُ الْقِيَاسُ الْبُرْهَانِيُّ الْقِيَاسَ الْجَدَلِيَّ ، وَالْقِيَاسَ [الْخَطَابِيَّ] (٢) ، وَالْقِيَاسَ الْمُغَالِطِيَّ (٣) وَكَانَ لاَ يُمْكِنُ ذَلِكَ دُونَ أَنْ يَتَقَدَّمَ فَيَعْرِفَ قَبْلَ ذَلِكَ مَا هُوَ الْقِيَاسُ الْمُطْلَقُ ، وَكَمْ أَنْوَاعُهُ (٤) ، وَمَا مِنها قِيَاس وَمَا مِنْهَا (٥) لَيْسَ بِقِيَاسٍ ، وَذَلِكَ لَا يُمْكِنُ أَيْضاً [إلاَّ وَيَتَقَدَّمَ] (٦) فَيَعْرِفَ قَبْلَ ذَلِكَ أَجْزَاءَ الْقِيَاسِ الَّتِي مِنْهَا [تُرَكَّبَتْ] (٧) ، أَعْنِي الْمُقَدِّمَاتِ وَأَنْوَاعَهَا .

فَقَدْ يَجِبُ عَلَى الْمُؤْمِنِ بِالشَّرْعِ ، الْمُمْتَثِلِ أَمْرَهُ بِالنَّظَرِ فِي الْمَوْجُودَاتِ ، أَنْ يَتَقَدَّمَ ، قَبْلَ النَّظَرِ ، فَيَعْرِفَ هَذِهِ الْأَشْيَاءَ الَّتِي تَتَنَزَّلُ مِنَ النَّظَرِ مَنْزِلَةَ الْآلَاتِ مِنَ الْعَمَلِ ، فَإِنَّهُ كَمَا أَنَّ الْفَقِيه يَسْتَنْبِطُ مِنَ الْأَمْرِ بِالتَّفَقُّهِ فِي الْأَحْكَامِ ، وُجُوبَ مَعْرِفَةِ [الْمَقَايِيسِ] (٨) الْفِقْهِيَّةِ عَلَى أَنْوَاعِهَا ، وَمَا مِنْهَا قِيَاسٌ وَمَا مِنْهَا لَيْسَ بِقِيَاسٍ ، كَذَلِكَ يَجِبُ عَلَى الْعَارِفِ أَنْ يَسْتَنْبِطَ مِنَ الْأَمْرِ بِالنَّظَرِ فِي الْمَوْجُودَاتِ وُجُوبَ مَعْرِفَةِ الْقِيَاسِ الْعَقْلِيِّ ، وَأَنْوَاعِهِ ، بَلْ

---

(١) فيما عدا ب : كان ، بدون حرف العطف .

(٢) فى ا ، م : الخطبى ، بدلا من الخطابى ، وهو لفظ يطرد فيهما بدلا من لفظ الخطابى ، والنسبة فيه إلى الخُطَب ، والخطابى نسبة إلى الخطابة .

(٣) القائم على المغالطة ، والذى لا يحتوى من القياس إلا على عناصر الشكل وظواهر التركيب . وهذا التقسيم يفيد أن الفيصل فى هذه القضيه هو اعتبار المقدمات من حيث الصدق وعدمه ، لأن الأقيسة المختلفة قد تتفق شكلا . وفى النسخة ا نجد « الدالطى » بدلا من « المغالطى » .

(٤) لأن هناك من الأقيسة : البرهانى ، والجدلى ، والخطابى ، والمغالطى ، والشعرى ، والفقهى .. إلخ ..

(٥) فى ب : منه .

(٦) فيما عدا ب : أو يتقدم .

(٧) فيما عدا ب : تقدمت .

(٨) فى ا ، م : المقاييس ، وهو لفظ يطرد فيهما بدلا من : المقاييس .

Scanné avec CamScanner

هُوَ أَحْرَى بِذَلِكَ ، لِأَنَّهُ إِذَا كَانَ الْفَقِيهُ يَسْتَنْبِطُ مِنْ قَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِي الْأَبْصَارِ ﴾ (١) ، وُجُوبَ مَعْرِفَةِ الْقِيَاسِ [الْفِقْهِيِّ] (٢) ، [فَكَمْ بِالْحَرِيِّ وَالْأَوْلَى] (٣) أَنْ يَسْتَنْبِطَ مِنْ ذَلِكَ الْعَارِفُ بِاللهِ وُجُوبَ مَعْرِفَةِ الْقِيَاسِ الْعَقْلِيِّ ؟ ؟

وَلَيْسَ لِقَائِلٍ أَنْ يَقُولَ : إِنَّ هَذَا النَّوْعَ مِنَ النَّظَرِ فِي الْقِيَاسِ الْعَقْلِيِّ بِدْعَةٌ ، إِذْ لَمْ يَكُنْ فِي الصَّدْرِ الْأَوَّلِ . فَإِنَّ النَّظَرَ أَيْضاً فِي الْقِيَاسِ الْفِقْهِيِّ ، وَأَنْوَاعِهِ ، هُوَ شَيْءٌ اسْتُنْبِطَ بَعْدَ الصَّدْرِ الْأَوَّلِ ، وَلَيْسَ يُرَى أَنَّهُ بِدْعَةٌ .

٥/ فَكَذَلِكَ يَجِبُ أَنْ [نَعْتَقِدَ] (٤) فِي النَّظَرِ فِي الْقِيَاسِ الْعَقْلِيِّ ، وَلِهَذَا سَبَبٌ لَيْسَ هَذَا مَوْضِعُ ذِكْرِهِ (٥) .

[بَلْ وَأَكْثَرُ أَصْحَابِ هَذِهِ الْمِلَّةِ مُثْبِتُونَ الْقِيَاسَ الْعَقْلِيَّ ، إِلَّا طَائِفَةً مِنَ الْحَشْوِيَّةِ قَلِيلَةً ، وَهُمْ مَحْجُوجُونَ بِالنُّصُوصِ] (٦) .

• • •

[فَإِذَا] (٧) تَقَرَّرَ أَنَّهُ يَجِبُ ، بِالشَّرْعِ ، النَّظَرُ فِي الْقِيَاسِ الْعَقْلِيِّ ، وَأَنْوَاعِهِ ، كَمَا يَجِبُ النَّظَرُ فِي الْقِيَاسِ الْفِقْهِيِّ ، فَبَيِّنٌ أَنَّهُ إِنْ كَانَ لَمْ يَتَقَدَّمْ أَحَدٌ مِمَّنْ قَبْلَنَا بِفَحْصٍ عَنِ الْقِيَاسِ الْعَقْلِيِّ وَأَنْوَاعِهِ ،أَنَّهُ يَجِبُ عَلَيْنَا أَنْ نَبْتَدِئَ بِالْفَحْصِ عَنْهُ ، وَأَنْ يَسْتَعِينَ فِي ذَلِكَ [الْمُتَأَخِّرُ بِالْمُتَقَدِّمِ] (٨) ،

---

(١) الحشر (٥٩) : ٢ .
(٢) في ا : العقل .
(٣) فيما عدا ب : فبالحري .
(٤) في ا ، م : يعتقد .
(٥) لأن موضعه هو كتب « الصنعة » غير « الجمهورية » التي لا يستطيع تناولها سوى الخاصة من أهل البرهان .
(٦) سقطت من ا ، م ، ص .
(٧) في ا ، م : وإذا . وفي ص : وإذ .
(٨) في ص : المتقدم بالمتأخر .

Scanné avec CamScanner

حَتَّى تَكْمُلَ الْمَعْرِفَةُ بِهِ ، فَإِنَّهُ عَسِيرٌ ، أَوْ غَيْرُ مُمْكِنٍ أَنْ يَقِفَ وَاحِدٌ مِنَ النَّاسِ ، مِنْ تِلْقَائِهِ ، وَابْتِدَاءً ، عَلَى جَمِيعِ مَا يُحْتَاجُ إِلَيْهِ مِنْ ذَلِكَ . كَمَا أَنَّهُ عَسِيرٌ أَنْ يَسْتَنْبِطَ وَاحِدٌ جَمِيعَ مَا يُحْتَاجُ إِلَيْهِ مِنْ مَعْرِفَةِ أَنْوَاعِ الْقِيَاسِ الْفِقْهِيِّ ، بَلْ مَعْرِفَةُ الْقِيَاسِ الْعَقْلِيِّ أَحْرَى بِذَلِكَ .

وَإِنْ كَانَ غَيْرُنَا قَدْ فَحَصَ عَنْ ذَلِكَ ، فَبَيِّنٌ أَنَّهُ يَجِبُ عَلَيْنَا أَنْ نَسْتَعِينَ عَلَى مَا نَحْنُ بِسَبِيلِهِ بِمَا قَالَهُ مَنْ تَقَدَّمَنَا فِي ذَلِكَ .

وَسَوَاءٌ [أَكَانَ](١) ذَلِكَ الْغَيْرُ مُشَارِكاً لَنَا أَوْ غَيْرَ مُشَارِكٍ فِي الْمِلَّةِ(٢) ، فَإِنَّ الْآلَةَ الَّتِي تَصِحُّ بِهَا [التَّذْكِيَةُ](٣) لَا يُخْتَبَرُ فِي صِحَّةِ التَّذْكِيَةِ بِهَا كَوْنُهَا آلَةً لِمُشَارِكٍ لَنَا فِي الْمِلَّةِ أَوْ غَيْرَ مُشَارِكٍ ، إِذَا كَانَتْ فِيهَا شُرُوطُ الصِّحَّةِ . وَأَعْنِي بِغَيْرِ الْمُشَارِكِ : مَنْ نَظَرَ فِي هٰذِهِ الْأَشْيَاءِ مِنَ الْقُدَمَاءِ قَبْلَ مِلَّةِ الْإِسْلَامِ .

وَإِذَا كَانَ الْأَمْرُ هٰكَذَا ، وَكَانَ كُلُّ مَا يُحْتَاجُ إِلَيْهِ مِنَ النَّظَرِ فِي أَمْرِ الْمَقَايِيسِ الْعَقْلِيَّةِ قَدْ فَحَصَ عَنْهُ الْقُدَمَاءُ أَتَمَّ فَحْصٍ ، فَقَدْ يَنْبَغِي أَنْ٦/ نَضْرِبَ بِأَيْدِينَا إِلَى كُتُبِهِمْ ، فَنَنْظُرَ فِيمَا قَالُوهُ مِنْ ذَلِكَ ، فَإِنْ كَانَ كُلُّهُ صَوَاباً قَبِلْنَاهُ مِنْهُمْ ، وَإِنْ كَانَ فِيهِ مَا لَيْسَ بِصَوَابٍ نَبَّهْنَا عَلَيْهِ .

فَإِذَا فَرَغْنَا مِنْ هٰذَا الْجِنْسِ مِنَ النَّظَرِ ، وَحَصَلَتْ عِنْدَنَا الْآلَاتُ الَّتِي بِهَا نَقْدِرُ عَلَى الِاعْتِبَارِ فِي الْمَوْجُودَاتِ ، وَدِلَالَةِ الصَّنْعَةِ فِيهَا — فَإِنَّ مَنْ لَا يَعْرِفُ الصَّنْعَةَ لَا يَعْرِفُ الْمَصْنُوعَ ، وَمَنْ لَا يَعْرِفُ الْمَصْنُوعَ لَا يَعْرِفُ الصَّانِعَ — فَقَدْ يَجِبُ أَنْ نَشْرَعَ فِي الْفَحْصِ عَنِ الْمَوْجُودَاتِ ، عَلَى التَّرْتِيبِ وَالنَّحْوِ الَّذِي اسْتَفَدْنَاهُ مِنْ صِنَاعَةِ الْمَعْرِفَةِ بِالْمَقَايِيسِ الْبُرْهَانِيَّةِ .

---

(١) فِي ب : كَانَ .

(٢) عبارة ب : « مشاركاً لنا فِي الملة أو غير مشارك » .

(٣) فِي ص : التزكية .

Scanné avec CamScanner

وَبَيِّنْ[١] أيضاً أنَّ هَذَا الغَرَضَ إنَّمَا يتِمُّ لَنَا فِي المَوْجُودَاتِ بِتَدَاوُلِ الفَحْصِ عَنْهَا وَاحِدًا بَعْدَ وَاحِدٍ ، وَأنْ يَسْتَعِينَ فِي ذَلِكَ المُتَأَخِّرُ بِالمُتَقَدِّمِ ، عَلَى مِثَالِ مَا عَرَضَ فِي عُلُومِ التَّعَالِيمِ[٢] فَإنَّهُ لَوْ فَرَضْنَا صِنَاعَةَ الهَنْدَسَةِ ، فِي وَقْتِنَا هَذَا ، مَعْدُومَةً ، وَكَذَلِكَ صِنَاعَةَ عِلْمِ الهَيْئَةِ ، وَرَامَ إنْسَانٌ وَاحِدٌ ، مِنْ تِلْقَاءِ نَفْسِهِ ، أنْ يُدْرِكَ مَقَادِيرَ الأَجْرَامِ السَّمَاوِيَّةِ ، وَأَشْكَالَهَا ، وَأبْعَادَ بَعْضِهَا عَنْ بَعْضٍ ، لَمَا أمْكَنَه ذَلِكَ . مِثْلَ أنْ يَعْرِفَ قَدْرَ الشَّمْسِ مِنَ الأَرْضِ ، وَغَيْرَ ذَلِكَ مِنْ [مَقَادِيرِ][٣] الكَوَاكِبِ ، وَلَوْ كَانَ [أَذْكَى][٤] النَّاسِ طَبْعاً ، إلاَّ بِوَحْيٍ أوْ شَيْءٍ يُشْبِهُ الوَحْيَ .

بَلْ لَوْ قِيلَ لَهُ : إنَّ الشَّمْسَ أعْظَمُ مِنَ الأَرْضِ بِنَحْوِ مَائَةٍ وَخَمْسِينَ ضِعْفاً ، أوْ سِتِّينَ ، لَعَدَّ هَذَا القَوْلَ جُنُوناً مِنْ قَائِلِهِ ، وَهَذَا شَيْءٌ قَدْ قَامَ عَلَيهِ البُرْهَانُ فِي عِلْمِ الهَيْئَةِ قِيَاماً لاَ [يَشُكُّ][٥] فِيهِ مَنْ هُوَ مِنْ [أَهْلِ][٦] ذَلِكَ العِلْمِ .

وَأمَّا الَّذِي أخْرَجَ ٧/ فِي هَذَا إلَى التَّمْثِيلِ بِصِنَاعَةِ التَّعَالِيمِ ، فَهَذِهِ صِنَاعَةُ أُصُولِ الفِقْهِ ، وَالفِقْهِ نَفْسِهِ ، لَمْ يَكْمُلِ النَّظَرُ فِيهَا إلاَّ فِي زَمَنٍ طَوِيلٍ ، وَلَوْ رَامَ إنْسَانٌ اليَوْمَ ، مِنْ تِلْقَاءِ نَفْسِهِ ، أنْ يَقِفَ عَلَى جَمِيعِ الحُجَجِ الَّتِي اسْتَنْبَطَهَا النُّظَّارُ مِنْ أهْلِ المَذَاهِبِ فِي مَسَائِلِ الخِلاَفِ الَّتِي وُضِعَتْ[٧] المُنَاظَرَةُ فِيهَا بَيْنَهُمْ فِي مُعْظَمِ بِلاَدِ الإسْلاَمِ ، مَا عَدا المَغْرِبَ[٨]

(١) فى ا : وتبين .
(٢) أى الرياضيات .
(٣) فى ا : تقادير .
(٤) فى س : أذكى .
(٥) فى ا : شك .
(٦) فى ا ، م ، س : أصحاب .
(٧) وضعت هنا بمعنى : وقعت .
(٨) ولعل السبب فى عدم وقوع المناظرات الفقهية فى المغرب ، كما حدث فى باقى أنحاء العالم

لَكَانَ أَهْلاً أَنْ يُضْحَكَ مِنْهُ ، لِكَوْنِ ذَلِكَ مُمْتَنِعاً [فِى حَقِّهِ] (١) ، مَعَ وُجُودِ ذَلِكَ مَفْرُوغاً مِنْهُ ، وَهَذَا أَمْرٌ بَيِّنٌ بِنَفْسِهِ ، لَيْسَ فِى الصَّنَائِعِ الْعِلْمِيَّةِ فَقَطْ ، بَلْ و [فِى] (٢) الْعَمَلِيَّةِ ، فَإِنَّهُ لَيْسَ مِنْهَا صِنَاعَةٌ يَقْدِرُ أَنْ يُنْشِئَهَا (٣) وَاحِدٌ بِعَيْنِهِ ، فَكَيْفَ بِصناعَةِ الصَّنَائِعِ ، وَهِيَ الْحِكْمَةُ .

وَإِذَا كَانَ هَذَا هَكَذَا ، فَقَدْ يَجِبُ عَلَيْنَا إِنْ أَلْفَيْنَا لِمَنْ تَقَدَّمَ مِنَ الْأُمَمِ السَّالِفَةِ نَظَرًا فِى الْمَوْجُودَاتِ ، وَاعْتِبَارًا لَهَا ، بِحَسَبِ مَا اقْتَضَتْهُ شَرَائِطُ الْبُرْهَانِ ، أَنْ نَنْظُرَ فِى الَّذِى قَالُوهُ مِنْ ذَلِكَ ، وَمَا أَثْبَتُوهُ فِى كُتُبِهِمْ ، فَمَا كَانَ مِنْهَا مُوَافِقاً لِلْحَقِّ قَبِلْنَاهُ مِنْهُمْ ، وَسُرِرْنَا بِهِ ، وَشَكَرْنَاهُمْ عَلَيْهِ ، وَمَا كَانَ مِنْهَا غَيْرَ مُوَافِقٍ لِلْحَقِّ نَبَّهْنَا عَلَيْهِ ، وَحَذَّرْنَا مِنْهُ ، وَعَذَرْنَاهُمْ .

فَقَدْ تَبَيَّنَ مِنْ هَذَا أَنَّ النَّظَرَ فِى كُتُبِ الْقُدَمَاءِ وَاجِبٌ بِالشَّرْعِ ، [إِذْ] (٤) كَانَ مَغْزَاهُمْ فِى كُتُبِهِمْ وَمَقْصِدُهُمْ هُوَ الْمَقْصِدُ الَّذِى حَثَّنَا الشَّرْعُ عَلَيْهِ ، وَأَنَّ مَنْ نَهَى عَنِ النَّظَرِ فِيهَا مَنْ كَانَ أَهْلاً لِلنَّظَرِ فِيهَا ـ وَهُوَ الَّذِى جَمَعَ أَمْرَيْنِ :

أَحَدِهِما : ذَكَاءُ الْفِطْرَةِ .

وَالثَّانِى : الْعَدَالَةُ الشَّرْعِيَّةُ ، وَالْفَضِيلَةُ [الْعِلْمِيَّةُ وَ] (٥) الْخُلُقِيَّةُ ـ

= الإسلامى ، هو سيادة المذهب المالكى فى الفقه لكل أنحائه ، والسيطرة الكبرى التى كانت لفقهاء هذا المذهب على الحياة الفكرية بهذه البلاد ، وبخاصة فى عصرهم الذهبى أيام دولة المرابطين (١٠٩٠ — ١١٤٦ م) ، وهى الفترة الزمنية التى سبقت مجىء دولة الموحدين (١١٤٦ — ١٢٦٩ م) التى عاش فيها ابن رشد .

(١) سقطت من ا ، م ، ص .
(٢) سقطت من ا ، م ، ص .
(٣) رسمها فى ا أقرب إلى : ينبّها .
(٤) ا : إن .
(٥) موجودة فى ص فقط ؛ وسقطت مما عداها .

فَقَدْ صَدَّ النَّاسَ عَنِ الْبَابِ الَّذِى دَعَا الشَّرْعُ مِنْهُ النَّاسَ٨/ ، إِلَى مَعْرِفَةِ اللهِ ، وَهُوَ بَابُ النَّظَرِ الْمُؤَدِّى إِلَى مَعْرِفَتِهِ حَقَّ الْمَعْرِفَةِ . وَذَلِكَ غَايَةُ الْجَهْلِ وَالْبُعْدِ عَنِ اللهِ تَعَالَى .

Scanné avec CamScanner